75 Surah Qiyaamah Tafsir Kashafalasraar wa Uddatulabraar Rasheeduddin AlMeybodi

75- سورة القيمة- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (1) سوگند ميخورم بروز رستاخيز.
وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) و سوگند ميخورم بتن نكوهنده.
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ مى‌پندارد اين مردم أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (3) كه ما فراهم نياريم اندامان و استخوانهاى او ؟
بَلى قادِرِينَ آرى كنيم و آن را توانايانيم عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (4) بر آنكه راست كنيم اندامان او تا بندهاى انگشتان او هم چنان كه بود.
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (5) آرى ميخواهد اين مردم كه دروغ شمرد هر چه فرا پيش اوست.
يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (6) مى‌پرسد كه روز رستاخيز كى؟
فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) آن گاه كه چشم در چشم خانه روشن بتاود.
وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (8) و در چشم او ماه تاريك گردد.
وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (9) و روز و شب باو يكسان.
يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ مردم ميگويد آن روز أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كجا گريزم؟
كَلَّا نگريزد و نتواند لا وَزَرَ (11) پناه جاى نيست او را.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12)
با خداوند تو است آن روز شدن و آراميدن و باز گشتن.
يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ آگاه كنند آن روز مردم را بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (13) بهر چه از پيش فرستاد از كرد و كار، يا از پس خويش گذاشت از نهاد بد يا نيك.
بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) اين آدمى خود را نيك شناسد و در خود نيك داند.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (15) و هر چند كه خود را مى‌حجّت و عذر آرد و مى‌سازد.
لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) زبان خود مجنبان شتابيدن را به قرآن.
إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (17) بر ما كه قرآن بر تو خوانيم و در ياد تو داريم.
فَإِذا قَرَأْناهُ چون ما بر تو خوانديم فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) آن گه تو از پس وا ميخوان.
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (19) و آن گاه بر ما كه احكام آن پيغام خويش ترا پيدا كنيم.
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ (20) آرى شما مى‌دوست داريد اين جهان نزديك فرادست و شتابنده بخلق.
وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) و جهان پسين مى‌گذاريد.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) رويهاست آن روز از شادى تازه.
إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) بخداوند خويش نگران.
وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (24) و رويهاست آن روز از اندوه گرفته و فراهم كشيده.
تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (25) كه درست ميداند كه هر چه بتر بود باو ببود.
كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (26) براستى آن وقت كه جان بچنبر گردن رسد
وَ قِيلَ مَنْ راقٍ (27) و مى‌گويند كدام پزشك است كه افسون كند؟
وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ (28) و بدانست مردم كه از دنيا مى‌جدا شود.
وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) و پاى او در كفن مى‌پيچيدند و گور را بساختند.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ او را بسوى خداوند تو راندند و با او بردند.
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى (31) صدقه و زكاة نداد و نماز نكرد.
وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (32) لكن دروغ زن گرفت و از پذيرفتن برگشت.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) آن گه با كسان خويش شد خرامان.
أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (34) در رسيد آنچه از آن ميترسيدى گريز.
ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (35) باز در رسيد آنچه از آن مى‌ترسيدى گريز.
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ مى‌پندارد مردم أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (36) كه او را فرو گذارند ناانگيخت و ناپرسيد؟
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (37) نه نطفه‌اى بود نخست كه بيفكندند.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً آن گه پس از آن خونى بسته فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) خداوند تو آن را بيافريد و صورت و اندام راست كرد.
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (39) و از آن دو همتا آفريد نر و ماده.
أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (40) او كه آن را كرد نه توانا است و قادر بر آنكه مردگان را زنده كند.

النوبة الثانية

اين سوره بعدد كوفيان چهل آيت است، صد و نود و نه كلمت، ششصد و پنجاه و دو حرف جمله به مكه فرو آمد باتّفاق مفسّران. و درين سوره يك آيت منسوخ است: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ نسخ ذلك بقوله: «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى» و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة القيامة شهدت انا و جبرئيل له يوم القيامة انّه كان مؤمنا بيوم القيامة و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

لا أُقْسِمُ لا خلاف بين النّاس انّ معناه: اقسم، و اختلفوا في تفسير لا فقيل: هي تأكيد للقسم كقول العرب: لا و اللَّه لأفعلنّ كذا. لا و اللَّه ما فعلت كذا. و قيل: انّها صلة كقوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ اى لان يعلم اهل الكتاب و قيل: هى ردّ على منكرى البعث، فانّها و ان كانت رأس السّورة فالقرآن متّصل بعضه ببعض كلّه كالسّورة الواحدة و المعنى: ليس الأمر كما قلتم: اقسم بيوم القيامة أنّكم تبعثون. قرأ الحسن و الاعرج و ابن كثير في رواية القوّاس عنه لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ بلا الف قبل الهمزة.

وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ على معنى انّه اقسم بيوم القيامة و لم يقسم بالنّفس اللّوّامة. و الصّحيح انّه اقسم بهما جميعا و لا صلة فيهما، قال الشّاعر:

تذكّرت ليلى فاعترتنى صبابة و كاد ضمير القلب لا يتقطّع

اى يتقطّع. قال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة القيامة و انّما قيامة احدهم موته. و شهد علقمة جنازة فلمّا دفن قال: اما هذا فقد قامت قيامته و النفس اللوامة هى الّتى تلوم نفسها على ما جنت و تأتى يوم القيامة كلّ نفس برّة او فاجرة تلوم نفسها البرّة على ما قصّرت و لم تستكثر كقوله تعالى: يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي و الفاجرة على ما جنت كقوله: «يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ». قال سعيد ابن جبير و عكرمة تلوم على الخير و الشّرّ و لا تصبر على السّراء و الضّرّاء و قال الحسن: هى النّفس المؤمنة. قال: انّ المؤمن و اللَّه ما تراه الّا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت بأكلتى ما اردت بحديث نفسى و انّ الفاجر يمضى قدما لا يحاسب نفسه و لا يعاتبها.

و قال مقاتل: هى النّفس الكافرة انّ الكافر يلوم نفسه في الآخرة على ما فرّط في امر اللَّه في الدّنيا.

قوله: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ أ يظنّ الكافر ان لن نجمع عظامه عند البعث بعد ما صار رميما. أ يظنّ ان لا نقدر على ذلك. نزلت في عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة ختن الاخنس بن شريق الثّقفى. و كان رسول اللَّه (ص) يقول: «اللّهم اكفنى جارىّ السّوء»

يعنى عديّا و الاخنس و ذلك

انّ عدى بن ربيعة اتى النّبي (ص) فقال: يا محمد حدّثنى عن يوم القيامة متى يكون و كيف امره و حاله؟ فاخبره النّبي (ص) فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم اصدّقك يا محمد و لم اومن بك او يجمع اللَّه العظام

فانزل اللَّه تعالى: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى الكافر أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بعد تفرّقها و بلاها فنحييه و نبعثه بعد الموت. ذكر العظام و اراد نفسه كلّها، لانّ العظام قالب النّفس لا يستوى الخلق الّا باستوائها. و قيل: هو

خارج على قول المنكر او يجمع اللَّه العظام كقوله: «قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ: بَلى قادِرِينَ اى نقدر استقبال صرف الى الحال و المعنى: بلى نقدر على جمع عظامه و على ما هو اعظم من ذلك و هو أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ فنجعل اصابع يديه و رجليه شيئا واحدا كخفّ البعير او كحافر الحمار فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا و لكنّا فرقنا اصابعه حتّى يأخذ بها ما شاء و يقبض اذا شاء و يبسط اذا شاء فحسّنّا خلقه. هذا قول عامة المفسّرين و قال الزجاج و ابن قتيبة: معناه ظنّ الكافر انّا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر ان نعبد السّلاميات على صغرها فنؤلّف بينها حتّى نسوّى البنان فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها اقدر.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ يقول تعالى ذكره: ما يجهل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت و لكنه يريد ان يفجر امامه‌اى يمضى قدما قدما في معاصى اللَّه راكبا رأسه لا ينزع عنها و لا يتوب. اين مردم نه از آنست كه نمى‌داند كه اللَّه قادرست كه مرده زنده كند، لكن ميخواهد كه بباطل و معصيت سر درنهد، هميشه در ناپسند مى‌رود روى نهاده چنان كه ميآيد و هر چه آيد و هر جاى كه رسد بى هيچ واگشتن. و قيل: يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ ليقدّم الذّنب و يؤخّر التّوبة، يقول: سوف اتوب، حتّى يأتيه الموت على شرّ احواله و اسوأ اعماله. ميخواهد اين مردم كه همه گناه فرا پيش دارد و توبه وا پس ميدارد، هميشه توبه در تأخير مينهد و وعده ميدهد كه: سوف اتوب، تا ناگاه مرگ آيد و او بر سر معصيت بر بتر حالى و زشتر عملى.

و قيل: لِيَفْجُرَ أَمامَهُ اى ليكذّب بما امامه من البعث و الحساب يقال للكاذب و المكذّب فاجر. قال الشّاعر: «اغفر له اللّهم ان كان فجر». اى كذب.

ميخواهد اين مردم كه هر چه فرا پيش است از بعث و نشور و حساب و جمله احوال رستاخيز دروغ شمرد. و قال الضحاك: هو الآمل يأمل. و يقول اعيش من الدّنيا كذا و كذا و لا يذكر الموت.

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ اخذ «ايّان» من اين فاذا شدّدت و زيد فيها الالف وضعت موضع متى، اى متى تكون السّاعة؟ و متى يكون البعث؟ يسأله استبعادا و استهزاء و تكذيبا به. قال اللَّه تعالى: فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ بكسر الرّاء على معنى فزع و تحيّر و قرأ نافع بفتح الرّاء من البريق اى شخص بصره عند النّزع و وقوع الهول به حتّى لا يكاد يطرف و قال الكلبى: عند رؤية جهنّم برق ابصار الكفّار و في هذا جواب هذا السّائل اى انّما تكون السّاعة اذا برق البصر.

وَ خَسَفَ الْقَمَرُ اظلم و ذهب ضوءه.

وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ اى جمعا في ذهاب ضوءهما. و قيل: يجمعان كانّهما ثوران عقيران ثمّ يقذفان في البحر فيكون نار اللَّه الكبرى. و قال على (ع) و ابن عباس: يجعلان في نور الحجب. و قيل: يكوّران من قوله: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و لم يقل: جمعت الشّمس لانّ معناه: جمع بينهما و قيل: المراد بهما اللّيل و النّهار فكنى عن النّهار بآيته و عن اللّيل بآيته. باين قول معنى آنست كه كافر را بوقت جان كندن چشم وى در چشم خانه خيره بماند و ماه در چشم وى تاريك گردد و روز و شب او را يكسان نمايد.

يَقُولُ الْإِنْسانُ اى الكافر يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ اى المهرب لشدّة ما يراه من العقوبة.

كَلَّا ردع عن تمنّى الفرار لا وَزَرَ اى لا حصن و لا حرز، و الوزر ما لجاء اليه الانسان من ملجاء او منجى او جبل.

إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ

اى المنتهى اذا جعلته مصدرا كقوله: و انّ الى ربّك المنتهى. انّ الى ربّك الرّجعى و ان جعلته مكانا فالجنّة و النّار، اى لا ينزل احدا منزلة الّا اللَّه.

يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ

قال ابن مسعود و ابن عباس: بما قدّم قبل موته من عمل صالح و سيّئ و اخّر بعد موته من سنّة حسنة او سيّئة يعمل بها، و في رواية عطيّة عن ابن عباس: بما قدّم من المعصية و اخّر من الطّاعة. و قيل: بما قدّم من الذّنب و اخّر من التّوبة. و قيل: بما قدّم من ماله لنفسه و ما اخّر منه لورثته. و قيل: ما قدّم لدنياه و ما اخّر لآخرته و هو مسئول عن الجميع لانّ اللّفظ عامّ. و في الحديث الصّحيح: «ما منكم من احد الّا سيكلّمه ربّه ليس بينه و بينه ترجمان و حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الّا ما قدّم من عمله و ينظر اشأم منه فلا يرى الّا ما قدّم و ينظر بين يديه فلا يرى الّا النّار تلقاء وجهه فاتّقوا النّار و

لو بشقّ تمرة.
بَلِ الْإِنْسانُ عَلى‏ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
اى هو على نفسه بصير بعمله شاهد على نفسه.
و التّاء دخلت للمبالغة كما يقال: رجل نسّابة و علامة. و قيل: معناه على نفسه عين بصيرة فحذف الموصوف و اثبتت الصّفة. و قيل: على نفسه ذو بصيرة فحذف المضاف، اى يعلم انّه في الدّنيا جاحد كافر مذنب مسي‏ء و في الآخرة يعلم انّه ايّ شي‏ء فعل و ان اعتذر. ميگويد: آدمى بخود سخت داناست و از خود سخت آگاه است، ميداند كه در دنيا كافر و جاحد و بدكردار بوده و در عقبى ميداند كه چه آورده از فعل بد.
وَ لَوْ أَلْقى‏ مَعاذِيرَهُ و اگر چه خود را حجّت ميآرد و عذر باطل ميسازد.
و گفته‌اند: معاذير جمع معذار است. و المعذار: السّتر، لغة حميريّة. يعنى آدمى خود را نيك شناسد و هر چند كه پيش خويش مى‌ورايستد و پرده فريب بر چشم خويش افكند. و گفته‌اند: و او زيادتست. المعنى. عَلى‏ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقى‏ مَعاذِيرَهُ يعنى: اين مردم در خويشتن نيك داند، اگر بهانه بيفكند و عذر باطل بگذارد و پرده فريب از پيش خويش بيفكند. قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى‏ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
اى على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله و يشهدون عليه به و هي سمعه و بصره و يداه و رجلاه و جميع جوارحه، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ... الآية.
وَ لَوْ أَلْقى‏ مَعاذِيرَهُ اى يشهد عليه الشّاهد و لو اعتذر و ادلى بكلّ حجّة و عذر فلا ينفعه ذلك، فله من نفسه شهود و حجّة. ميگويد: اين آدمى بر وى رقيبى است و نگهبانى بس بينا و آگاه تا گوش بوى ميدارد و فردا بر وى گواه بود، اگر چه عذر باطل آرد و گويد: «إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» اين عذر او را سود ندارد و عذاب از وى باز ندارد. كقوله: «يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ». و قيل: وَ لَوْ أَلْقى‏ مَعاذِيرَهُ
اى و لو اسبل السّتر ليخفى ما يعمل فانّ نفسه شاهدة عليه. و قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى‏ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ اى من يبصر امره يعنى الملكين الكاتبين، كقوله: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ». قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ اى لا تحرّك بالقرآن لسانك استعجالا بتلقّنه. كان جبرئيل (ع) يقرأ عليه القرآن فيقرأه رسول اللَّه (ص) معه مخافة ان لا ينفلت منه و كان يناله منه شدّة فنهاه اللَّه عن ذلك. و قال: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ اى جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك.
فَإِذا قَرَأْناهُ اى اذا جمعناه في قلبك. و قيل: اذا قرأه جبرئيل و اضافه الى نفسه على جهة التّخصيص فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
اى اتّبع قرآنه، اى اذا فرغ جبرئيل من قراءته فاقرأ انت على اثره.
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ هذا مردود على الكلام الاوّل، انّ علينا جمعه و قرآنه، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اى علينا ان نبيّن لك احكامه من الحلال و الحرام و نبيّن لك معناه اذا حفظته. و قال الحسن: انّ علينا ان نجزى به يوم القيامة على ما قلنا في الدّنيا من الوعد و الوعيد و القرآن مصدر كالرّجحان و الغفران، تقول: قرأت قراءة و قرآنا و كان رسول اللَّه (ص) بعد نزول هذه الآية اذا اتاه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده اللَّه عزّ و جلّ. و قيل: هذا خطاب للعبد يوم القيامة و الهاء تعود الى كتاب العبد، اى لا تعجل فانّ علينا ان نجمع افعالك في صحيفتك و قد فعل و علينا ان نقرأ عليك كتابك.
فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ هل غادر شيئا او احتوى على زيادة ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اظهار جزاء عليه.
«كَلَّا» افتتاح كلام بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ قرأ اهل المدينة و الكوفة تحبّون و تذرون بالتّاء فيهما و قرأ الآخرون بالياء، اى يختارون الدّنيا على العقبى و يعملون لها، يعنى كفّار مكة. و من قرأ بالتّاء، فعلى تقدير قل لهم يا محمد تحبّون الدّنيا و شهواتها و تذرون الدّار الآخرة و نعيمها.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ يعنى: يوم القيامة، «ناضرة» ناعمة مشرقة حسنة نضرت بنعيم الجنّة. قال مقاتل: بيض يعلوها النّور، يقال: نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة. قال اللَّه تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ إِلى‏ رَبِّها ناظِرَةٌ. قال ابن عباس: تنظر الى ربّها عيانا بلا حجاب. قال الحسن: تنظر الى الخالق و حقّ لها ان تنظر و هي تنظر الى الخالق
روى عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه (ص): «انّ ادنى اهل الجنّة منزلة لمن ينظر الى خزّانه و

ازواجه و سرره و نعيمه، و خدمه مسيرة الف سنة و اكرمهم على اللّه لمن ينظر الى وجهه تبارك و تعالى. غدوة و عشيّة». ثمّ قرأ رسول اللّه (ص) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ.
و عن جابر قال: قال رسول اللّه (ص): «يتجلّى ربّنا عزّ و جلّ حتّى ينظروا الى وجهه فيخرّون له سجّدا، فيقول: ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة.
و عن عمّار بن ياسر قال: كان من دعاء النّبي (ص) «اسألك النّظر الى وجهك و الشّوق الى لقائك في غير ضرّاء مضرّة و لا فتنة مضلّة».
و قال اهل العلم: النّظر اذا قرن بالوجه و عدّى بحرف الجرّ و هو الى لم يعقل منه الّا الرّؤية و العيان.
وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ عابسة، كالحة، كريهة.
«تَظُنُّ» اى يتيقّن أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ داهيه عظيمة من العذاب و الفاقرة الدّاهية العظيمة و «الأمر الشّديد الّذى يكسر فقار الظّهر و منه سمّى الفقر فقرا لانّه يكسر الفقار لشدّته. قال ابن زيد: هى دخول النّار. و قال الكلبى: هى ان تحجب عن رؤية الرّبّ عزّ و جلّ.
«كَلَّا» افتتاح كلام إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ اى بلغت الرّوح عند الموت الى التّراقى، كنى عنها و لم يتقدّم ذكرها لانّ الآية تدلّ عليها. و التّراقى جمع ترقوه و هى العظم المشرف على الصّدر و هما ترقوتان.
وَ قِيلَ مَنْ راقٍ اى يقول اهله هل من راق يرقيه و هل من طبيب يداويه، مشتقّ من الرّقية. و قيل: انّ ملائكة الرّحمة و ملائكة العذاب اذا اجتمعوا، يقول بعضهم لبعض من الّذى يرقى بروحه أ ملائكة الرّحمة ام ملائكة العذاب. مشتقّ من الرّقى.
وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ اى و تيقّن انّه مفارق للدّنيا.
روى انس بن مالك قال: قال رسول اللّه (ص): «انّ العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و انّ مفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السّلام تفارقنى و افارقك الى يوم القيامة».
قوله: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ اى التصقت احديهما بالآخرى عند الموت.
قال قتادة: أ ما رأته اذا ضرب برجله رجله الأخرى، و قال الحسن: هما ساقاه اذا التفّتا في الكفن و قيل: ماتت رجلاه فلم تحملاه الى شىء و كان عليهما جوّالا، و قيل: كنى عن شدّة الأمر بالسّاق اى اتاه اوّل شدّة امر الآخرة و آخر شدّة امر الدّنيا، فالنّاس يجهزون جسده و الملائكة يجهزون روحه فاجتمع عليه أمران شديدان.
و قال ابن عطاء: اجتمع عليه شدّة مفارقة الوطن من الدّنيا و الاهل و الولد و شدّة القدوم على ربّه عزّ و جلّ، لا يدرى بماذا يقدم عليه لذلك. قال عثمان: ما رأيت منظرا الّا و القبر افظع منه لانّه آخر منازل الدّنيا و اوّل منازل الآخرة. و قال يحيى بن معاذ: اذا دخل الميّت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك و احد عند رأسه و الثّاني عند رجله. و الثّالث عن يمينه و الرّابع عن يساره، فيقول الّذى عند رأسه: يا بن آدم ارفضّت الآجال و انضيت الآمال، ارفضّت، اى تفرّقت و انضيت، اى هزلت و يقول الّذى عن يمينه: ذهبت الاموال و بقيت الاعمال و يقول الّذى عن يساره: ذهب الاشغال و بقى الوبال و يقول الّذى عند رجليه: طوبى لك ان كان كسبك من الحلال و كنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ اى مرجع العباد الى حيث امر اللّه امّا الى جنّة و امّا الى نار و امّا الى علّيّين و امّا الى سجّين، و قيل: تسوق الملائكة روحه الى حيث امرهم اللّه.
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى نزلت في ابى جهل و لا بمعنى لم، اى لم يصدّق بكتاب اللّه و لا بنبيّه و لم يصل للّه عبادة، و قيل: هو من التّصدّق. و قال الحسن: هو من الصّدقة و حسن دخول لا على الماضى تكراره، كما تقول: لا قام و لا قعد و قلّما تقول العرب لا وحدها حتّى تتبعها اخرى تقول: لا زيد في الدّار و لا عمرو.
وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى اى كذّب باللّه و اعرض عن الايمان و الطّاعة له.
ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى اى مضى يتبختر و يختال في مشيه حين وعظه النّبي (ص) بالقرآن. يتمطّى اصله يتمطّط اى يتمدّد و المطّ هو المدّ و يقال: اصله من المطا، اى يلوى مطاه تبخترا و في الخبر اذا مشيتم المطيطاء يعنى التّبختر و الخيلاء و خدمتكم فارس و الرّوم فقد اقتربت السّاعة.
قوله: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى هى كلمة تهديد و وعيد يقال للمشرف على الهلكة، روى انّ رسول اللّه (ص) لقى ابا جهل فاخذ ببعض جسده و قال له: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى فنزل به القرآن

و روى انّ ابا جهل قال: أ تخوّفنى يا محمد؟ و اللَّه ما تستطيع انت و لا ربّك ان تفعلا بى شيئا و انّى لا عزّ من مشى بين جبليها فلمّا كان يوم بدر صرعه اللَّه شرّ مصرع و قتله اسوأ قتل، اقصعه ابنا عفراء، و اجهز عليه ابن مسعود
و كان نبىّ اللَّه (ص) يقول: «انّ لكلّ امّة فرعونا و انّ فرعون هذه الامّة ابو جهل».
و اصل الكلمة من الولى و هو القرب تأويله ما ربحك ما تكره فاحذره، و التّكرار تأكيد للوعيد و قيل: معناه انّك اجدر بهذا العذاب و احقّ و اولى، يقال للرّجل يصيبه مكروه و يستوجبه. و قيل: معناه الويل لك حين تحيى و الويل لك حين تموت و الويل لك حين تبعث و الويل لك حين تدخل النّار. قالت الخنساء:

هممت بنفسى بعض الهموم فاولى لنفسى اولى لها

أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى ابا جهل أَنْ يُتْرَكَ سُدىً اى مهملا لا يؤمر و لا ينهى و لا يبعث و لا يجازى بعمله، و قيل: أ يظنّ انّه لا يعاقب على معاصيه و كفره و ايذاء الرّسول (ص) و المؤمنين، و قال الحسن: يُتْرَكَ سُدىً اى سرمدا في الدّنيا دائما لا يموت. الاسداء: من الاضداد. يقال اسدى الىّ معروفا و في الخبر من اسدى اليه معروف فليكافئه فان لم يستطع فليشكره. و تقول: اسديت حاجتى و شدّيتها، اى اهملتها و لم تقضها.
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى اى يصبّ في الرّحم. قرأ ابو عمرو و حفص و يعقوب بالياء لاجل المنيّ و قرأ الآخرون بالتّاء لاجل النّطفة.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً اى صار المنىّ قطعة دم جامد بعد اربعين يوما. فَخَلَقَ فَسَوَّى خلقه في الرّحم فجعل منه الزّوجين، اى خلق من مائه اولادا ذكورا و اناثا، أَ لَيْسَ ذلِكَ الّذى فعل هذا بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى.
روى: انّ رسول اللَّه (ص) كان يقول عند قراءة هذه الآية: بلى و اللَّه بلى و اللَّه.
و روى عن ابن عباس قال: من قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى اماما كان او غيره، فليقل: سبحان ربّى الاعلى. و من قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فاذا انتهى آخرها، فليقل: سبحانك اللّهم و بلى اماما كان او غيره.
و عن ابى هريرة قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ منكم وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ فانتهى الى آخرها «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ» فليقل: بلى و انا على ذلك من الشّاهدين. و من قرأ: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فانتهى الى أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى فليقل: سبحانك بلى و من قرأ: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فبلغ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» فليقل: «آمنّا باللّه».
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم جليل، جلاله بلا اشكال و جماله لا على احتذاء و مثال، و افعاله لا باغراض و اعتلال، و قدرته لا بجلادة و احتيال و علمه لا بضرورة و استدلال، فهو الّذى لم يزل و لا يزال، و لا يجوز عليه الفناء و الزّوال. عزيز صمدىّ الذّات، قديم سرمدىّ الصّفات، مرئىّ الذّات بالابصار، نعمة منه و لطفا بالابرار في دار القرار:

تعاليت معبودا، تعاليت قاهرا تعاليت قدّوسا، تعاليت خالقا
تعاليت من ربّ رفيع مكانه تعاليت رزّاقا وسعت الخلائقا
تعاليت اوسعت البريّة برّها و فاجرها رزقا تعاليت رازقا

بنام او كه عالى ذات است و صافى صفات، مقدّس و منزّه از بنين و بنات، كاشف الظّلمات، ساتر السيّئات، مجيب الدّعوات، مقيل العثرات، خالق الارض و السّماوات، رازق الوحوش و الحشرات:

اى زهر غم تو در دلم آب حيات و اى عشوه عشق تو مرا راه نجات
گفتى: ببرم جان تو اى حور صفات؟ جان از تو مرا دريغ باشد؟ هيهات!

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ربّ العالمين قسم ياد ميكند بروز رستاخيز، آن روز كه سرادقات استحقاق ربوبيّت باز كشند و بساط جلال و عظمت بگسترانند، و علم جبّارى بصحراء قهّارى برون آرند ايوان كبريا بر كشيده، ميزان عدل در آويخته، و سياست جبروت عزّت همه را مدهوش و بيهوش كرده انبيا با كمال

حال خود میآیند و حدیث علم خود در باقی کرده که: «لا عِلْمَ لَنا»، ملائکه ملکوت میآیند و صومعه‌های عبادت خود آتش در زده که: «ما عبدناك حقّ عبادتك»
عارفان و موحّدان می‌آیند و از معرفت خود بیزار گشته که: «ما عرفناك حقّ معرفتك».
ای بزرگا حسرتا اگر آن روز فضل او ترا دست نگیرد. ای عظیما: مصیبتا اگر در آن مجمع کرم او ترا فریاد نرسد. اگر عنایات او دستگیر نبود، از طاعت تو چه آید؟ ور عدل او روی نماید هلاك از تو برآید.
پیر طریقت گفت: «الهی دانی که نه بخود باین روزم و نه بکفایت خویش شمع هدایت میافروزم، از من چه آید و از کرد من چه گشاید؟ طاعت من بتوفیق تو، خدمت من بهدایت تو، توبه من برعایت تو، شکر من بانعام تو، ذکر من بالهام تو، همه تویی من که ام اگر فضل تو نباشد، من بر چه ام؟! وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ از اقوال مفسّران یکی آنست که: نفس لوّامه نفس بنده مومن است که پیوسته بروزگار خود تحسّر میخورد و بر تقصیرها خود را ملامت میکند و خویشتن را می‌ترساند و بیم میدهد و بچشم حقارت و مذلّت در خود می‌نگرد و میگوید:

ای نفس خسیس همّت سودایی   بر هر سنگی که بر زنم قلب آیی!

ای در راه طلب حقّ باوّل قدم فرو مانده، ای با هزار مرکب میان بادیه تکلیف منقطع شده، ای با هزار شمع و چراغ سر یك موی دولت نادیده، ای در خزانه تبّت افتاده و بوی مشك بمشامت نارسیده، ای با همه غوّاصان بدریا فرو شده و هیچ چیز بدست نیاورده و خویشتن را نیز از دست بداده. ای دیر آمده و زود بازگشته، ای بجای شراب سرور سراب غرور خریده و دل و دین ببها داده «اسْتَحَبُّوا الْحَیاةَ الدُّنْیا عَلَی الْآخِرَةِ»:

سوف تری اذا انجلی الغبار   أ فرس تحتك ام حمار
تا کی از دار الغروری سوختن دار السّرور   تا کی از دار الفراری ساختن دار القرار
باش تا از صدمه صور سرافیلی شود   صورت خوبت نهان و سیرت زشت آشکار
یك تپانچه شیر و، زین مردار خواران یك جهان   ك صدای صور و، زین فرعون طبعان صد هزار.

بزرگی را پرسیدند: که راه از کدام جانب است؟ گفت: از جانب تو نیست، چون از تو درگذشت از همه جانبها را هست. روزی نگذرد که نه از عالم بینهایت این ندا می‌آید که: ای ما ترا خواسته و تو روی از ما بگردانیده، ای ما ترا بامداد و شبانگاه با دولت صحبت خوانده و تو قدم از کوی ما باز گرفته، ناگزیرت مائیم، با ما بنسازی با که سازی؟! اگر پیل نتوانی بود، باری از پشه‌ای کم مباش که در صورت پیل است، گوید: اگر بقوّت پیل نیستم که باری کشم، باری بصورت پیلم که بار خویش بر کس نیفکنم. چون بنده مؤمن نفس لوّامه را بریاضت در کشد و حقّ وی از روی عتاب و نصیحت بتمامی در کنار وی نهد و توفیق او را مدد دهد، عن قریب آن نفس لوّامه نفس مطمئنّه گردد تا خطاب ربّانی بنعت اکرام و اعزاز او را استقبال کند که: «یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِی إِلی رَبِّكِ» ای نفس مطمئنّه و بصحبت ما آرامیده و آسوده، تا امروز از راه نفس آمدی اکنون از راه دل در آی تا بما رسی. بر درگاه ما دل را بارست و نیز هیچ چیز دیگر را بار نیست:

خون صدّیقان بپالودند و زان ره ساختند   جز بدل رفتن در آن ره یك قدم را بار نیست.

آن گه چون بما رسیدی این خلعت یابی که: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ مثل بنده مؤمن مثل بازست. باز را چون بگیرند و خواهند که شایسته دست شاه گردد مدّتی چشم او بدوزند، بندی بر پایش نهند، در خانه‌ای تاریك باز دارند، از جفتش جدا کنند، یك چندی بگرسنگیش مبتلا کنند تا ضعیف و نحیف گردد و وطن خویش فراموش کند و طبع گذاشتگی دست بدارد. آن گه بعاقبت چشمش بگشایند، شمعی پیش وی بیفروزند، طبلی از بهر وی بزنند، طعمه گوشت پیش وی نهند، دست شاه مقرّ وی

سازند. با خود گوید: در کلّ عالم کرا بود این کرامت که مراست؟ شمع پیش دیده من، آواز طبل نوای من، گوشت مرغ طعمه من، دست شاه جای من! بر مثال این حال چون خواهند که بنده مؤمن را حلّه خلّت پوشانند و شراب محبّت نوشانند، با وی همین معامله کنند. مدّتی در چهار دیوار لحد باز دارند، گیرایی از دست و روایی از پای بستانند، بینایی از دیده بردارند، روزگاری برین صفت بگذارند آن گه ناگاه طبل قیامت بزنند، بنده از خاك لحد سر برآرد، چشم بگشاید، نور بهشت بیند. «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» دنیا فراموش کند، شراب وصل نوش کند، بر مائده خلد بنشیند چنان که آن باز چشم باز کند خود را بر دست شاه بیند، بنده مؤمن چشم باز کند، خود را بمقعد صدق بیند سلام ملك شنود، دیدار ملك بیند. بنده میان طوبی و زلفی و حسنی شادان و نازان، در جلال و جمال حقّ نگران. اینست که ربّ العالمین فرمود: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ رویهای مؤمنان و مطیعان، رویهای صدّیقان و شهیدان، رویهای عاشقان و مشتاقان چون ماه درفشان، چون آفتاب رخشان، شادان و نازان می‌نگرند بخداوند جهانیان، نوازنده دوستان، و دلگشای مشتاقان. خوش روزی که روز وصالست، شادی آن روز بی پایانست، دولت آن روز بیکرانست. روز برّ و افضال، روز عطا و نوال، روز نظر ذو الجلال، روز شادی و پیروزی، رهی باقی و مولی ساقی، و از جناب کرم ندای کرامت روان، که: «الدّار دارکم و انا جارکم».
پیر طریقت گفت: «بهره عارف در بهشت سه چیز است: سماع و شراب و دیدار. سماع را گفت: «فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ»، شراب را گفت: «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً». دیدار را گفت: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ سماع بهره گوش، شراب بهره لب، دیدار بهره دیده. سماع واجدان را، شراب عاشقان را، دیدار محبّان را. سماع طرب فزاید، شراب زبان گشاید، دیدار صفت رباید.
سماع مطلوب نقد کند، شراب راز جلوه کند، دیدار عارف را فرد کند. سماع را هفت اندام رهی. گوش چون ساقی اوست، شراب همه نوش، دیدار را زیر هر مویی دیده‌ای روش.